

مصير مصر الصحي بعد الحرب من الناحية العلاجية

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا

سيداتي ، سادتي :

أشكر لقسم الخدمة العامة بالجامعة الأميركية انارتها للرأى العام فى المسائل الهامة التى تواجهها مصر بتنظيم هذه المحاضرات وأشكرها لدعوتى لإلقاء هذه المحاضرة عن مصير مصر الصحي بعد الحرب من الناحية العلاجية . كما أشكر لحضرات المستمعين الكرام حضورهم وأتعلم أن أوفق لمعالجة هذه المشكلة الهامة حتى أكون عند حسن ظن الجميع .

هذه المحاضرة مرتبطة بمحاضرات أخرى خصوصاً بمحاضرة مصير مصر الصحي من الناحية الوقائية وكلتاهما ممتنان لبعضهما لتوفير الأذعان عن مستقبل مصر الصحي ولا يمكن أن أتكلم بإفاضة عن ناحية العلاج بدون أن أنوه عن الأمراض التى نعالجها ونلمس بعض النقط الوقائية ونتكلم عن احتياجات الشعب والجمهور والأفراد لمستلزمات العلاج والتبريض وغيرها من شئون المرضى الاجتماعية ومن المفهوم أننى لا أضع مشروعا وإنما أدلى بأفكارى وأعرض آرائى لآنارة الرأى العام فان وافق ذلك من بيدهم تحديد الأغراض ووضع المشروعات وتنفيذها فهذا من حسن التوفيق وأن لم تتفق مع وجهة نظرهم فلهم ظروف هم أدرى بها ولها وجاهتها وليست هذه المحاضرة لمناقشتها وليست هذه القاعة مكان تنفيذها أو تصويبها أو تنقيحها .

إننى أعالج موضوعى هذا بصفتى طبيبا مارس فى العلاج والتدريس وخبر شئونها واحتياجات المرضى وذويهم ثم بصفتى مصرى أخلط بكل الأوساط ورأى وسمع وناقش وفكر . فحديثى استعراض عام قد أطيل البيان فيما أعده أهم من غيره وقد اختصر فيما أرى من اللياقة الاختصار فيه كما قد اكتفى بمجرد التلميح فى بعض المسائل حرصا على الوقت . فالأمراض الموجودة فى مصر الآن تتطلب العلاج وستظهر أمراض أخرى إما جديدة فى عالم الطب أو معلومة له ولكنها نادرة وغير منتشرة وستنبأ الظروف لظهورها كما ستخفى بعض الأمراض أو تقل تبعا لظهور وسائل علاجية جديدة ناجحة فعالة تقضى عليها وستظهر مسائل التشخيص المستحدثة الأسباب الحقيقية لبعض الأمراض فيزول الغموض الموجود عن أسبابها وتزول صعوبة تشخيصها فيسهل علاجها . كما ستظهر لنا الأبحاث عن عقاقير جديدة وطرق علاج حديثة تدلل كثيرا من الصعوبات .

ألقيت هذه المحاضرة فى الجامعة الأمريكية بدعوة من قسم الخدمة العامة .

قد أعطتنا الحرب العالمية الماضية سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ تجربة تقيس عليها هذا الصدد
تمكنا من الحكم على وجه التقريب أو الاحتمال عما سيكون . واضرب الأمثال لتفسير
ذلك . فقبل الحرب الماضية كانت زيادة إفراز الغدة الدرقية قليلة جدا بمصر حتى
أن أحد الأساتذة الانجليز عند ما عين حديثا في مصر أظهر دهشته من قلتها ولكنها الآن
أصبحت من الكثرة بمكان وذلك راجع الى ظروف عديدة منها ازدياد الاضطرابات
العصبية التي صحبت الحرب العالمية السابقة وكذا الأزمات المختلفة التي أعقبتها وهزت
الأعصاب هزا عنيفا . وقد يرجع الى نفس هذه الاضطرابات والقلق أيضا زيادة أمراض
الشريان التاجي في القلب والتي زادت نسبتها زيادة عظيمة جدا . اني أتبين من الآن أن
الحرب الحالية ستزيد الاضطرابات العصبية النفسية المسماة .

زيادة عظمى ونصيحتي لكل طبيب علاجي أن يتنبه اليها من الآن وقد شعرت فعلا بزيادة
هذه الاضطرابات عند بعض المرضى عقب الغارات الجوية التي شنت على بعض مدننا
مع قلة هذه الغارات بالنسبة لها في البلاد الأخرى ولا شك أن المخاوف والمخاطير والكوارث
تولد هذه العلل النفسية - العصبية ومضاعفاتها وتأثيراتها على أجهزة الجسم المختلفة وكتب
الطب ومجالاتها بها الكثير من الأمثلة .

فكم شوهدت أحوال أنزفة رئوية عند المسلولين عقب حوادث الغارات الجوية من
تأثير شدة الانفعالات النفسية كما حصلت أنزفة مخية وشلل عند المصابين بارتفاع الضغط
الشرياني وكثرت الاضطرابات القلبية مثل الخفقان وتقطع ضربات وعدم انتظامها
كما تحصل نوبة الذبحة الصدرية . وكثيرا ما تقع أحوال الدحول والذعر قترى الناس
سكارى وما هم بسكارى .

رأى صديق لي سيدة يدل مظهرها على الثراء تحمل فرخة في يدها وبالسؤال أظهرت
دهشتها لأنها زعمت أنها تحمل حقيبة يدها ورأى أخرى تحمل مخدة وتمتطف عليها وبسؤالها
أظهرت الدهشة لأنها قصت أن تحمل طفلها . وهكذا نرى القلق والذعر والخوف
والمشاغل الفكرية وتوتر الأعصاب وكثرة الضوء والضوضاء تؤثر على الأعصاب حتى في زمن
السلم لما في المدينة الحديثة من كفاح مستمر وتنافس بين بني البشر .

فالى شباب الطب أوجه نصيحتي باعارة هذا الموضوع العناية التي يستحقها .

ولا شك عندي أن الابحاث العملية ستظهر في هذه الحرب كما أظهرت في الحرب التي
قبلها تأثير نقص الأغذية وفسادها . إذ ثبت جليا في حرب سنة ١٩١٤ ازدياد الأنيما وأمراض
نقص الفيتامينات على وجه العموم كما ظهرت عواقب سوء التغذية وتأثيرها على البنية فتأخر
سن البلوغ في الصبيان والبنات وضعف النسل وكثرت الوفيات في الأطفال المولودين حديثا
من ضعف أمهاتهم وضعف ألبانهم . وفتح المجال واسعا أمام الابحاث العلمية وزادت معرفتنا

بالفيتامينات كما ازدادت أهمية التغذية على وجه العموم . وبالاختصار سنذكر بيننا أنواع الأمراض الآتية بعد الحرب :

١ - الأمراض العصبية النفسية .

٢ - أمراض الصناعات والإصابة بالآلات المحركة لأد الصناعات سنذكر وتنتشر في مصر بعد الحرب ويتبع ذلك حصول أمراض وإصابات المسببة منها .

٣ - أمراض المدد الصياء من نتيجة الازعاجات والانفعالات وضعف البيئة .

٤ - أمراض سوء التغذية .

٥ - أمراض المكيفات والخمور التي لم يقض عليها تماما .

هذه الأنواع الخمسة من الأحوال المرضية تكون كل منها مجموعة متشابهة ومتقاربة من الأمراض - تستحق أن يعمل لكل مجموعة منها معهدا خاصا بدراستها وبحثها ومعرفة أسبابها وطرق مقاومتها وعلاجها ويجب أن يلحق به مستشفى خاص لعلاج المرضى والمصابين بهذه الأمراض والعناية بهم ووضع القواعد العلمية لمنع انتشارها - فيتقدم بذلك العلم والفن ويم الخبير كل الطبقات - خصوصا طبقة العمال والصناع والزراع والفلاحين - وعلى الأخص الطبقة الفقيرة منهم .

والوقت كليل بشكامل هذه المعاهد وتكاثرها ولا يكفى بإنشائها لهذه الأمراض فحسب ، بل يجب إيجاد مثلها لأمراض أخرى مثل الحميات والأمراض المعدية مثلا فان سيرها وتطوراتها بمصر لم تدرس دراسة وافية شاملة للآن - وكل طبيب حذق في فنه دقت معه معلوماته وخبرته وتجاربه الشخصية فيها بعد مماته - والوسيلة القيمة لحفظ هذه المعلومات وصيانتها ونموها هي إيجاد معاهد أبحاث مستوفاة العدد والأجهزة والأدوات والمعامل والمستشفيات المحققة بها ويخصص لها العلماء والباحثون المتفرون على دراستها وبحثها .

ولا يمكن أن يقوم فرد بمفرده بمثل هذه الابحاث لأن الطب اتسع مجاله وتشعبت مسالكه وأصبح طبا تعاونيا كما سترى مما سأذكره في هذه المحاضرة .

وستتجه الأفكار والابحاث بنوع خاص إلى أهمية علم التغذية وتطبيقه عمليا وعمليا واقتصاديا لشفاء الأمراض ومترداد أهميته في مصر ويعتمد عليه الأطباء كثيرا في تحسين الصحة العامة وتقوية مقاومة البنية للأمراض . ومع أن الإنسان عرف غذائه اغريزة ثم ارتقى بالتجربة إلى اختيار طعامه فوصل الى تنوعه وتحضيره وطبخه إلى أن صار يطبخ الطعام فنا ومهنة تتعلم بالمراس والخبرة والتجربة . إلى أن صار علما له قواعده وأصوله وما لبث أن صار عنصرا هاما في العلاج . فيصفف الطبيب الآن الغذاء الصالح للمريضه كما يصف له الدواء وكيفية استعماله . ولا غرابة أن يأخذ الغذاء والطعام هذه الأهمية لأنه يؤثر على البنية والنمو الجسمي وازدياد النشاط ويزيد مناعة الجسم ضد الأمراض . ومن البديهي أن الجسم

كامل النمو سليم البنية حسن التغذية يقاوم الأمراض أحسن من البنية الضعيفة المنهكة القوى من نقص التغذية . فالصحة والعافية يحافظ على درامها بالتغذية الصالحة أكثر من أى وسيلة أخرى .

وقد أخذ كثير من أساطين الطب ينصحون بإلحاح بزيادة الاهتمام بتعليم علم التغذية إلى طلبة الطب بطريقة أهم وأوسع . هذا معقول لأننا إذا علمنا أن للأمراض أسبابا أصلية مثل الميكروبات والطفيليات ونقص الفيتامينات والإصابات إلى غير ذلك وأسبابا مساعدة مثل التعرض للتلوثات الجوية وريادة المسكن والاجتهاد إلى آخره وقارنا فعل نقص الأذنية نرى أن رداءة الغذاء سواء أكان من قلتها في الكمية أو النوع أو من نقص بعض عناصرها أو من فسادها وعدم صلاحيتها للأكل نراها تؤثر من الناحيتين فهى إذن من أهم الأسباب الأصلية كما أنها أيضا من أهم الأسباب المساعدة لا على ظهور المرض فحسب بل وأهم من ذلك على تأخير الشفاء . ومن الثابت بالملاحظة أنه إذا ما انتشر مرض ما في منطقة بها جماعة أو قلة تغذية فإنه ينتشر فيها انتشار النار في الهشيم ويفتك بأهلها فتكا ذريعا . وإننى أعتقد أن الملاريا وإن كانت في حد ذاتها ذات بال ومن الأمراض الشديدة الوطأة إلا أنى أجزم بأن ازدياد ويلاتها في مديرتى قنا وأسوان هذا العام يرجع معظمه إلى نقص تغذية أهالى هذه المنطقة نقضا أدى إلى ضعف مقاومة بنيتهم وأن الحكومة وجمعيات البر التى تعمل لإسعافهم ولعلاجهم ولترويضهم بالمواد الغذائية وغيرها تسدى لهم أحسن وأجمل المعونة وتساعد بهذا العمل الإنسانى المحيد في تخفيف ويلات هذا الوباء الفتاك وسيكون لهذه الأعمال أطيب الأثر في القضاء عليه وإزالة أضراره .

وعليه أرى أن التغذية كما ستبوا مكانا بارزا كعلم من علوم الطب يدرس بتوسع وانتظام فستبوا أيضا مكانا اقتصاديا ظاهرا فإن دراستها ومعرفة عناصرها ونسبة ما تحويه منها وما يتص فيه الجسم ومقارنته بثمن غيره . كل ذلك سيكون له أعظم الأثر في إيجاد غذاء شعبي كاف مغذ بافع زهيد يمتن في تناول كل الطبقات .

وكذا ستبوا التغذية مكانا بارزا جدا في علاج المرضى وسنحل لهم ما حرمناه عليهم فيما مضى ونوسع عليهم الغذاء إذا ما مرضوا بقدر ما يسمح به جهازهم الهضمى لتساعد التغذية على احتفاظ المريض بقوته وحيويته أثناء المرض . وقد أصبحت الآن فعلا أكثر تساهلا وتسامحا منى عما قبل مع المرضى في غذائهم وأصبحت من أشياع إعطاء المريض الفرصة لمساعدة الطبيب في اختيار طعامه .

وعليه فهى من أهم المواضيع التى لا ينبغي أن يقتصر تعليمها لطلبة الطب بل يجب تهميم تلميحتها للشعب في كتب شعبية تكون في تناول الجميع سهلة الأسلوب والعبارة وخالية من التعقيد ولكنها على قدر فهم الجمهور ومكتوبة حسب الأصول العلمية الحديثة . بذلك تقرأها

العائلات فتساعد الطبيب على شفاء مرضاهم وعلى تأدية الواجب نحو الأصحاء لأن شعار الطب العلاجي الآن هو :

- ١ - المحافظة على دوام الصحة والعافية بكل الوسائل الوقائية ومنها حسن التغذية .
 - ٢ - إعادة الصحة والعافية إذا ما مرض الانسان بكل الوسائل الطبية والتربوية والغذائية.
- ولا يتسع المجال لأكثر من هذا الإجمال . وكان قدماء الصينيين أعقل منا إذ كانوا يدفعون للطبيب أجره السنوي ماداموا بصحة وعافية . على أن يصلحهم بدون أجر إذا ما مرضوا وهذا بعينه هو الذى صنعه نابليون مع أطبائه .

يحتج بغير حق كثير من أطبائنا عن كتابة كتب للشعب لأنهم يرون في ذلك ضربا من ضروب الاعلان عن النفس لا تليق بكرامتهم وهذا خطأ واضح أرجو منهم العدول عنه وأن يكتبوا الكثير من هذه الكتب لتثقيف الشعب ثقافة طبية ليفهم الكثير مما غاب عنه . وبين يدي جملة كتب كتبها كبار الأساتذة في أوروبا للشعب لتنويره وتثقيفه في ناحية ما من فروع الطب فضلا عما تنشره نائما صحفهم ومجلاتهم العامة من المواضيع الطبية التى تفيد غير الأطباء . فقد أصبح الطب علما اجتماعيا لا مجرد فن . ينتفع به المرضى في شفايتهم فقط . وأناشد الصحف والمجلات عندنا بمصر أن تفسح صفحاتها لهذه المواضيع وأنى مقتنع تمام الاقتناع أن ما وصل إليه جمهور وعامة الأوربيين من شدة العناية بصحتهم وبمعالجة أمراضهم يرجع أولا إلى انتشار التعليم وثانيا لانتشار أمثال هذه الكتب بينهم ومثل هذه الكتب العلمية المبسطة إذا ما حذف منها طول الشرح الفنى وأتقنت كتابتها تساعد الطبيب المعالج أيما مساعدة على أنه لا ينبغي أن تحشر بذكر الأمراض وشرحها لكي لا تدخل الوسواس والأوهام إلى من يقرؤها . وقد وضع بعض اخصائى الأطفال بمصر كتابا شعبية قيمة للامهات لتعليمهن أصول التغذية الحديثة والرعاية والعناية بالأطفال فى كل شؤونهم وأتت بأحسن النتائج وأرى أن الوقت قد حان لكتابة مثلها للشعب فى كل الفروع خصوصا فروع التغذية ليجتاز الشعب غذاءه ويتبعه عما يضره .

وعلى فرض أن المواد الغذائية صالحة للاكل وليس بها فساد يجعلها غير صحية فان سوء التغذية بمصر على نوعين مهمين :

أولها منتشر بين الطبقة الغنية من كثرة ما يأكلون ويشربون بشكل يزيد عن احتياجات الجسم ومقدرته على هضمه وتصريفه مما يؤدي الى أمراض البدانة والقرس والبول الكرى واحتقانات الكبد واضطرابات الهضم الأخرى .

وثانيها منتشر بين الطبقة الفقيرة من قلة ما يأكلون ومن نقص العناصر المغذية فى طعامهم مما يؤدي الى ضعف البنية وضعف المقاومة وضعف الدم والبلازما وغيرها .
ومما يساعد حدوث المرض عند الأغنياء قلة الحركة والمعيشة المريحة .

كان عند قدماء المصريين كثير من أنواع الرياضة البدنية منها ما هو خاص بالصغار مثل لعب الكرة وغيرها ومنها ما هو خاص بالشبان مثل السباحة والمصارعة والتحتليب والرقص، ومنها ما هو ضرب من مظاهر الوجاهة والجاه مثل سباق الخيل وركوبها والصيد والقنص وألعاب الفروسية . ولكن كثيرا من ذلك تلاشى بالحضارة وحب الترف ولاشغال الناس بشؤون الدنيا ولأن وسائل الحصول على الحاجيات أصبح أصعب مما كان عليه في الماضي . مع أن هذه الألعاب الرياضية على أنواعها هي ضرورة صحية أوجدتها الطبيعة وتجارب البشر على مر الأجيال لفائدة الانسان ولتدريب حواسه وتقوية عضلاته وأعضائه وتنمية قوة الملاحظة فيه .

ومما يسر حقا أن أخذ المصريون أخيرا بقسط وافر في الألعاب الرياضية وأسدت المدارس التي تعنى بالرياضة البدنية أكبر فائدة الى التلاميذ والطلبة فسبوا على جهات وتقديرها ونشروا بالروح والأخلاق الرياضية . وسيكون للعلاج بالوسائل الطبيعية والتمرينات البدنية شأن عظيم في مصر .

والعلاج اما للفرد واما للجماعة وكلاهما ليس قاصرا على العلاج الطبي فحسب بل لو عممنا التعبير لأضفنا الى العلاج علاج العيوب الأخلاقية والآفات والأمراض الاجتماعية والتزعات الاجرامية والشذوذ الخلق والنفس وتهذيب وتنمية عاطفة الخير في الأفراد والجماعات . وأقتبس بهذه المناسبة الفقرة الآتية من كتاب شفاء النفس لحضرة الدكتور يوسف مراد - الذي طبعته مطبعة ومكتبة المعارف من ضمن مجموعتها القيمة (اقرأ) فقد قال :

” وفي ضوء هذه الحقيقة الهامة يمكننا أن نقرر أن مساعدة الانسان اذا نظرنا اليه في أكل صورة له تقوم على تضامن الوظائف البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية ويترتب على ذلك نتيجة هامة لا يمكن انكارها وهو أن كل اصلاح أو علاج يرجى نجاحه يجب أن يكون كليا وأن تراعى فيه هذه النواحي الثلاث فالطبيب البدني أو الطبيب النفساني أو المصلح الاجتماعي الذي يقتصر على تخصصه الضيق ولا يوسع أفقه بحيث يشمل دائما تلك النواحي الثلاث لا يقوم بواجبه كاملا، بل كثيرا ما يكون من عوامل اعاقة الاصلاح والتقدم، فالبدء الذي يجب أن ينقش بحروف من ذهب على أبواب المنازل والمدارس والمستشفيات ودور الاصلاح هو (العقل السليم في الجسم السليم في المجتمع السليم) .

اتجهت المدنية في القرن التاسع عشر نحو المادة فكانت النهضة في الصناعة وما يتعلق بها من علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة والميكانيكا وغيرها، واتجه الميل في الصناعة الى زيادة انتاج العامل وتقليل النفقات وتصريف أكثر كمية يمكن بيعها ، وأخذت الآلات المحركة وغيرها مكانا بارزا فازدهرت الصناعة وراجت التجارة وما اليها ، وازدادت الثروة العامة وارتقت الشعوب الأوروبية ماديا وأدبيا وعلميا ، ولكن لم يعن بحالة العامل الاجتماعية والصحية ولا بيئته وسكنه وغيرها الا في هذا القرن (القرن العشرين الحالي) فتطورت

الظروف وأخذ في العناية بالعامل من هذه الوجهة وأخذ الطب وعلم الصحة الاجتماعية والسيكولوجيا العلمية والعملية تجد لها مكانا لخدمة هذه الفئة لمقاومة المرض والشذوذ والأمراض الاجتماعية والخلقية ولتحسين حالتهم على وجه العموم . وتوسع أفق الطب فبعد أن كان يعنى بوقاية الفرد وعلاج الفرد شمل في أغراضه البيئة والجماعة وشؤون المرضى الاجتماعية والعناية بذويهم وأخذ الطب مكانا بارزا فيها . والطبيب أخبر الناس بالأفراد والجماعات لذلك كان أثر نشاطه مهما جدا في النهضة العالمية والاجتماعية والعقلية والنفسية في هذا العصر واشترك في كل ما يحسن حالة المجتمع ويخفف ويلات الأمراض سواء كان في زمن الحرب أم في زمن السلم .

جاء في أحد تقاريرى عن شؤون كلية الطب الذى أرسلته الى اللجنة المختصة بوزارة المعارف ما يأتى :

” قد تطور الطب في أغراضه فبعد أن كان قاصرا على الاهتمام بصحة الفرد وشفاء الفرد وغذاء الفرد واطالة عمر الفرد أصبحت تشمل أغراضه صحة الجماعات والشعوب وغذائها وشفائها من أمراضها ومنع الأمراض عنها واطالة عمر الشعب وزيادة عدده وتميؤ الطب الوقائى والاجتماعى المكانة اللائقة به بجانب أخيه الطب العلاجى“ .

” نرى أن قانون الصحة يعد أساسى جدا في كليات الولايات المتحدة لأن مبدأ الدراسة فيها قائم على المبدأ الآتى : كيف يؤثر المرض على المريض ، كيف يؤثر المرض على عائلة المريض ، كيف يؤثر المرض على البيئة الاجتماعية أو الجماعة أو البيئة أو الوسط الذى يعيش فيه المريض ” لأن الانسان ذو شخصية انسانية لها حقوق وواجبات ولها اتصال وثيق بالبيئة التى يعيش فيها تتأثر بيئته بأمراضه الجسمية والخلقية كما يتأثر هو بأمراض البيئة التى يعيش فيها من جسمية وخلقية واجتماعية“ .

لا ينظر الطب الآن الى الانسان كحيوان ناطق كما كان يعبر عنه ولكنه يعتبره (حيوانا ناطقا عاقلا) ذا نفسية لها زعاعاتها وعواطفها ويولها ورغباتها، تتأثر بالألم والحب والبغض والفرح والحزن ويجب أن يكون ذلك في مقدمة الاعتبارات .

كما تقول عند ما كان الاهتمام قاصرا على الفرد ”العقل السليم فى الجسم السليم“ والآن شمل الاهتمام الفرد والبيئة والمجتمع تقول مع الدكتور يوسف مراد ”العقل السليم فى الجسم السليم فى المجتمع السليم“ وقد أصبحت الآن المسائل الخاصة بشؤون المرضى الاجتماعية وذويهم ضمن واجبات البيئات الطبية ولى فيها آراء بعضها نشر وبعضها لم ينشر بعد ولا يتسع وقت هذه المحاضرة للتكلم عنها ، ويكفى أن أقول ان نظامها فى مصر سيستع بعد هذه الحرب وستيجنى الطبقات الفقيرة ثمارها . وقد ابتدأت فعلا بعض الجمعيات الخيرية ووزارة الشؤون الاجتماعية بالاهتمام بها .

ومشكلة العلاج الطبي التي متواجدها مصر بعد هذه الحرب على شطرين :

(الأول) ما سيبتخذ لعلاج العمال والفلاحين والطبقات التي تقصد المستشفيات لعلاجها مجانا .

(الثاني) مشكلة تداوى المرضى الحصوصيين عند الأطباء في عياداتهم أو في مستشفيات خاصة .

أما عن الشطر الأول فستواجه مصر مشكلة عضلا تتطلب حلها سريريا خصوصا وقد أوقفت الحرب ما كان في العزم إنشائه من المستشفيات والمعاهد .

فالأمرض المستوطنة ومضاعفاتها تفتك فتكا ذريعا بالأفراد في مصر ولا يوجد في المستشفيات الخاصة بها إلا عيادات خارجية لا تكفى لعلاج كل المرضى، وزد على ذلك أن الفلاح أو الصانع ليس عنده ما يقتات منه إلا أجره اليومي، فإن مرض لا يقدر على العمل ويحرم أهله أيضا من هذا المورد الضئيل من الرزق . فلا بد أن يجد مكانا يأوى إليه لياكل ويعالج مدة مرضه وقد تبين لي ذلك جليا من سنوات عديدة فذكرت ذلك لمن بيدهم الأمر وقدمت تقريرا سنة ١٩٣٨ لوزارة الصحة كإجراء تعالج هذه الحالة وكما إذ ذلك قبل الحرب وكان من المستطاع عمل شيء ولو متواضعا ولكن لم يعمل كما كنا نبغي .

وقد أثرت الأمراض المتوطنة على قوة الفلاح ومقدرته على العمل وأضعفت تبعا لذلك قوة إنتاجه في القطر جميعه وإن لم يتدارك ذلك وتعطى المسألة العناية اللازمة لها فإننا سنسير من سيئ إلى أسوأ منه ، وبما أن الحرب لا تسمح إلا بالعمل بطريقة محدودة لا تشفى غيلا فيجب أن نعد العدة من الآن حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها وانفجرت أزمة المبانى واستحضار الأدوية والأدوات والأجهزة والمعدات ، أن نواجه هذه الحالة بكل قوة وعزم ونغيرها كل ما تستحق من العناية والحمة حتى نقضى على هذه الأمراض ونعيد للفلاح صحته وقوته ونشاطه وراحة باله فيزول عنه المرض والنكد والفقر ويجمع بتغيرات الأرض وما تتمر .

وليس سكان المدينة بأحسن حالا من سكان الأرياف ، لأن اكتظاظ المدن بالسكان وازدياد المصانع وازدحامها بالعمال وسوء التغذية وسوء حالة المساكن في الأحياء الفقيرة مما يزيد المرض والبؤس ، خصوصا الأمراض المعدية والسل الرئوى بوجه خاص ، وقد أخذ في الازدياد بشكل مقلق سريع ، ويستدعى ذلك أيضا ضرورة زيادة المستشفيات والمصحات والمستوصفات المزودة بكافة الأجهزة والأدوات حتى تقوم بعلاج هؤلاء البؤساء بأنهم ما يكون من العناية والرعاية .

وينبغي على الشركات والبنوك ورجال الأعمال الصناعية والتجارية والزراعية المتسعة أعمالهم ومصالحهم القيام بعمل أعم وأنفع لموظفيهم وعمالهم بإنشاء عيادات أو دور للعلاج

والنفاضة خاصة بهم على غرار ما تقوم به مصلحة السكة الحديد وهي شبه شركة وإن كانت حكومية الإدارة والتبعية ، فلها أطباء إخصائون في كل شعب الطب ولها مستشفى خاص بها وموظفها ، وتؤدي لهم أحسن الخدمات .

وعلى نقابات العمال والمستخدمين التفكير في مثل هذه الأغراض وإيجاد عيادات ومستوصفات ، وإن لم تتمكن شركة ما أو نقابة ما بمفردها من عمل مثل هذه العيادات أو المستشفيات لعدم مقدرتها المالية فيمكن أن تتشارك مع شركات أخرى أو تساعد المؤسسات الخاصة بهذا الغرض. يرى الناس في مصر أن تقوم الحكومة بكل شيء و يترقبون منها أمورا هي من صميم أعمال التعاون والبر والخير. وإني على خلاف هذا الرأي أرى أن يتعاون الأفراد والهيئات والجماعات في كثير من شؤونها وعلى الحكومة الإشراف العام والإرشاد والتوجيه والمراقبة ، وغير ذلك مما هو من صميم أعمال الحكومات حتى لا يساء استعمال مثل هذه المؤسسات . بهذا يتحقق التعاون الصحيح بين كل هيئات الشعب ، ويؤدي كل إنسان نصيبه من الواجبات الاجتماعية صغرا أو عظم كل على قدر ما يستطيع .

وإذا ما ذكر الطب والعلاج والمستشفيات فلا بد أن نعد العدة من الآن لإيجاد الأطباء والصيدلة والممرضات الأكفاء وصنع الأدوية محليا ، لأن عدد الأطباء والصيدلة والممرضات قليل بالنسبة لعدد السكان ، ولأن أكثر الأطباء يفضلون الإقامة في المدن الكبيرة لتوفر وسائل الراحة فيها ، وقد واجهت بعض الممالك هذه المشكلة وقابلتها بأنظمة وقوانين وقام أحد عمداء إحدى الكليات بالمكسيك بتجربة امتعان فيها بطلبة السنة الأخيرة من كلية الطب لعلاج هذه الحالة في الأرياف وساعدته حكومته على ذلك وأثمرت مجهوداته ووفق فيما قصد . وعلمت أن تركيا سنت قانونا يحتم على كل طبيب يريد مزاوله مهنته حرا أن يطيب ويقم في الأرياف لمدة بضع سنين . ولا يصح له بالإقامة في المدن الكبيرة إلا بعد هذه المدة وقد نجح كثير من هؤلاء الأطباء في عملهم بالأرياف وفضاوا استقرار الإقامة والتطبيب بها .

وأما مشكلة الصيدلة فخلها أسهل ولا يتطلب أكثر من افتتاح مدارس جديدة وتشجيع الإقبال على دراستها وتحسين حالتهم المعنوية والأدبية والمادية .

• وأما مشكلة الأدوية والعقاقير فهي مشكلة ذات بال ، وقد أوجدت حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ صعوبة في الحصول على الأدوية اللازمة لعلاج المرضى وأعطتنا درسا هينا رقيقا ولكن الحرب الحالية أعطتنا درسا حرا شديدا قاسيا ، فشعر الطبيب والمريض بهذه المشكلة لانقطاع ورود الأدوية من الخارج وقلة المستحضر منها في المعامل المحلية فضلا عن نقص المواد الأولية الضرورية لتحضيرها ، ويخشى أصحاب المعامل مزاحمة ما يرد بعد الحرب منها فيججمون عن التوسع في صنعها . ومع تقديري للجهود الذي قامت به هذه المعامل وتقديري لمستحضراتها واعترافي بأنها قامت بكل ما تستطيع لكنه أقل من احتياجات البلد فشكرا لها على ما أحسنت .

فكرت في إنشاء مدرسة للنباتات الطبية وأعطيت الفكرة لأستاذ علم العقاقير وطلبت منه كتابة تقرير بذلك وعززت تقريره بملاحظاتى وأرسلت الجميع إلى الجامعة وأعجب بالفكرة معالى مدير الجامعة على باشا ابراهيم ومهد لنا السبيل للتنفيذ ، وآمل من همه أولى الشأن أن يعطوا هذه المسألة العناية الواجبة لها حتى تقوم كلية الطب بالاشتراك مع كلية الزراعة بالتجارب الأولية اللازمة فيقبل المزارعون على زراعة النباتات الطبية التي تظهر تجارب البكيتين نجاحها زراعيًا وعلميًا وطبيًا وتجاريًا بمصر . بهذا توجه الزراع الى نوع جديد من الزراعة يزيد من ثروة القطر وتتلافى النقص الموجود من قلة وفوائد هذا المشروع واضحة جليلة . زد على ذلك أن عندنا في صحراء مصر الشرقية والغربية وسواحل البحر كثيرا من النباتات الطبية ، وعندنا في أرض مصر كثيرا من المعادن التي تصلح لاستحضار الأدوية كما أن عندنا في مداخل مصر كثيرا من أحشاء الحيوانات الداخلة لصنع العقاقير الخاصة منها .

ولو حسن استعمال كل ذلك واستخراج الأدوية منه لأتى بخير عميم . وقد نجح الأستاذ على بك حسن باستحضار الأنسولين بمصر وكان من النوع الجيد .

وبما كان كل ذلك خيالا حسنا للغاية ولكن التنفيذ يتطلب كثيرا من الجهود والمتاعب ولا بد من إيجاد العدد الكافي من الخبراء الفنيين من كيميائيين وعلماء وأطباء وصيادلة وزراعيين وغيرهم ولا بد أيضا من إيجاد المعامل المستوفاة لكل الشروط والمزودة بالأجهزة والآلات والأدوات اللازمة ، فاذا صحت الفريضة وتعاون رجال المال والعلم والفنون والتجارة والزراعة والصناعة وساعدت وعضدت الحكومة بنفوذها قد تتحقق كل هذه الآمال أو بعضها وان كانت خيالية في نظر الكثيرين .

وأما مشكلة نقص الأطباء فشكلة عويصة للغاية لأن عدد الأطباء على وجه العموم قليل جدا بالنسبة إلى عدد السكان ، وتتطلب حلا موقفا سريعا يسد حاجة المدن ولقرى للأطباء خصوصا وأن مصر تحتاج أعدادا كبيرة منهم أكثر من غيرها لأن بها أمراضا متنوعة منها ما هو وبائي ومنها ما هو مستوطن ومنها ما هو من الأمراض العادية لكل البلاد المجاورة والقرية منا . وحل هذه المشكلة تستلزم تنفيذ البرامج وتعديل الدراسة ومسائل أخرى مادية وغير مادية مرتبطة ببعضها . وقد شرحت شيئا من ذلك في تقاريرى التي أرسلتها لجنسة الخاصة وبعضها لا يزال عندي لم أكتبه ولم أرسله لمناسبات ليس هنا مكان ذكرها وأكتفى أن أقول بأن مثل هذه الحلول لا يجب أن تبقى في محاضرة عامة كمحاضره هذه لئلا يظن أن تشرح وتناقش بكل ترو وتؤدة في جو هادئ بين المختصين بتصريف شؤون الدولة ، لهذا السبب أعتذر عن عدم الإفاضة في هذا الموضوع .

وأما مشكلة التمريض والممرضات لفتيات فإنها مشكلة حيوية للغاية يطول شرحها ، تستلزم لشرحها وقتا أطول وأوسع ، ويكفى أن أقول إنه عمل يناسب طبائع النساء وبهذا الرأي أخذت كل المستشفيات الحديثة الرافية . ولا بد من مشروع واسع النطاق لتكوين فئة منهن كثيرة العدد ولا ينبغي التواني في ذلك حتى لا يسير خلف الأمم المتقدمة الأخرى .

وسواء نظرنا لمشكلة مستقبل مصر العلاجي بعد الحرب من ناحية مرضى المدن أو الأرياف أو الأطباء أو الصيدالة أو الممرضات أو معامل الأدوية أو مزارع النباتات الطبية أو دور العلاج المختلفة أو لكل ما له علاقة بذلك ذكر أو لم يذكر فإن هذه المشكلة فيما بعد الحرب ستكون من أهم المشاكل التي يجب أن تعطى لها الأهمية اللازمة، ويجب على الدولة أن لا تدخر المال وأن لا تبخل به على الصرف في هذه الوجوه لأن هذا من ألزم الضروريات إذا ما أردنا أن نكون جيلا للمستقبل سليما قويا يحيا للعمل يقوم بما يتطلبه منه الوطن من الواجبات والتضحيات حتى يتبوأ مصر المكان اللائق بها بين الأمم .

فأرجو ممن بيدهم تصريف شؤون الدولة أن لا يرضوا بالمسأل مهما كثر على تحسين صحة العامل والفلاح فيهم عماد ثروة البلاد كما أرجو منهم بكل إلحاح أن يسرعوا في حل مشكلة الأطباء والصيدالة والممرضات الفتيات .

وأما الشطر الثاني، وهو علاج المرضى الخصوصيين فعندنا أيضا مشكلة بل مشاكل وستريد فيما بعد الحرب وأهمها مسألة التخصص التي أصبحت عادة عصرية بين الأطباء فضلا عن قلتهم على وجه العموم .

إذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا في مبدأ ظهور العلوم كان الطب، أحد العلوم، وكان المثقفون من العلماء أدباء ورياضيين وفلاسفة وأطباء وعلماء في الفلك إلى غير ذلك، وعند ما تقدمت هذه العلوم وكثرت تركز الطب والدواء وصار الطبيب هو الذي يصف الدواء ويصنعه، ثم ابتداء عصر التخصص في الطب بطريقة أولية فأنفصل الطب عن الصيدلة ثم تدرج التخصص فأصبح طب ثباطن والجراحة، ثم تفرع إلى اختصاصات في الرمد والولادة وإلخلة ثم تشعب إلى اختصاصات في القلب والرئة والأعصاب والأمراض العقلية والغدد والأشعة والمعامل والمياه المعدنية إلى غير ذلك مما ظهر ومما سيظهر، ويخلق ما لا تعلمون. وهكذا كثر الاختصاص. هذا حسن من جهة تقدم العلم واتساع المعلومات والتفرغ للأبحاث وحصرها للتمكن من نوع ما من الأمراض ولكنه مربك للرضى بمصر، وأما في أوروبا فيوجد طبيب ذو أهمية اجتماعية كبرى وقادته عظيمة للرضى له مكانة محترمة في المجتمع وعند العائلات يسمونه الطبيب العام .

وهو عماد العلاج عندهم ويعد مستشار العائلة الطبي يرجعون إليه في جميع شؤونهم الطبية فيعالج مرضاهم وإذا ما استعصى عليه المرض في علاجه يوجههم إلى الطبيب الخاص في هذا الفرع لاستشارته ويكون واسطة التفاهم بينهم، وللأسف الشديد أن مثل هذا الطبيب النافع للهيئة الاجتماعية غير حائز للتقدير الواجب له من الجمهور المصري، وكل مريض يريد أن يسير في الطريق الذي يراه بدون الرجوع إلى مثل هذا الطبيب الذي يؤدي خدمة نافعة جدا للطب والإنسانية والمرضى وهو بطبيعة عمله عالم وملم بكل أصول العلوم الطبية التطبيقية .

قد كثرت عدد المتخصصين ووضعت في بعض الممالك نظم خاصة بها بحيث لا يمكن لأى طبيب أن يلقب نفسه باختصاصى فى أى مرض كان إلا بشروط، ووضوعة لهذا الغرض ولى فى ذلك تقرير قدمته لذوى الشأن .

والرأى السائد الآن أن أحسن الاختصاصيين من كؤون نفسه أولا كطبيب عام ثم أنس من نفسه ميلا خاصا لأحد شعب الاختصاص ونجح عمله فيها فيتفرغ لها فيكون إذن طبيبا عالما بكل أصول الطب وماهرا فى فرع أو شعبة منه لأن كل أعضاء الجسم مرتبطة ببعضها فى تادية وظائفها وفى تأثرها من الأمراض . ولا بد من فهم قواعد الطب قبل التخصص . والمختص الذى يتكؤون على هذا المنوال يعد من كبار رجال المهنة وأكثرهم إنتاجا، والأستاذ ما كترى وغيره من كبار رجال المهنة تكؤونوا بهذه الطريقة فقد كان طبيبا عاما ثم درس أمراض القلب وأنتنها من كثرة ما شاهده فتصار أكبر علماء أمراض القلب وأوجد طرقا خاصة بفحصه وتشخيصه وعلاجه .

وعندنا بمصر كما عند بعض البلاد الأخرى دراسة خاصة للتخصص لها امتحان ودبلوم فى مختلف فروع الطب وشعبه . وفى بعض البلاد يحتم زيادة هذه الدراسة وهذا الامتحان، وهذه الدبلوم تمضية قتره تختلف من ستين أو ثلاث سنوات أو أكثر فى أحد المعاهد أو المستشفيات لزيادة الخبرة والمران فى فرع التخصص قبل أن يصرح لحامل الدبلوم أن يسمى نفسه اخصائيا فى هذا الفرع أو الشعبة . بل قد ذهبت هنغاريا لأبعد من ذلك فحتمت مثلا للتخصص فى الأمراض الباطنية تمضية ستة أشهر فى أحد مستشفيات الحيات المعترف بها وستة أشهر فى معهد من معاهد التشريح المرضى والبايولوجيا وحتم للتخصص فى الجراحة تمضية سنة كاملة فى قسم الأمراض الباطنية وستة شهور فى قسم التشريح المرضى والبايولوجيا، كما حتم للتخصص فى أمراض النساء تمضية سنة كاملة فى قسم الجراحة العامة . كل ذلك يعد حضور الدراسات الإضافية الخاصة بالتخصص ودخول الامتحان والحصول على الدبلوم . ويرمى هذا النظام إلى حسن تكوين الاختصاص فيكون له المسام ومعرفة ومقدرة تامة بكل الصروع المتعلقة باختصاصه وليكؤون عنده ثقافة علمية ممتازة عن غيره ليكون جديرا بلقب اخصصاصى .

قد أصبح الطب الحديث مع ازدياد الاختصاصات وتشعبها طب جماعة لا طب فرد فالطبيب الذى لا يتعاون مع زملائه لا يمكنه أن يؤدى عملا مفيدا للمريضه لأنه لا يقدر أن يلم بكل فروع الطب وأصوله فى كل شعبة منه . ولذا يجب عليه ليستير فى تشخيص بعض الأمراض أن يستعين بزميله طبيب الأشعة وزميله الآخر طبيب المعمل كما قد يضطر أن يستعين بثالث أو رابع اختصاصى فى شعب أخرى ليتبين له بوضوح سبب المرض ويرسم خطة العلاج وقد يحتاج فى العلاج أيضا للاستعانة بأخر لمعمل عملية ما أو للعلاج بالوسائل الطبيعية أو غيرها ، يتضح من ذلك أن الطب أصبح طب جماعة

ولكى لا يتخبط المريض في هذه الأمور يجب على كل عائلة أن تهتدى إلى طبيب قريب من مسكنها تضع فيه ثقتها ليكون طبيبا المعالج ومرشدها في كل شؤونها الطبية فيوجهها الوجهة الصحية حتى لاتضل الطريق ويجب أن يكون هذا الطبيب من النوع المسمى طبيبا عاما

فقد يفهم غير الطبيب أن المرض في المعدة وهو في عضو آخر وهذا الطبيب يعلمه ويفيد أيضا فائدة ولا داعي لسرد الأمثلة وكلها تدل على أن الطبيب الخالص في شعبة ما يجب أن يقصر عمله على الاستشارة فقط وأن يكون ما غير ذلك تحت إشراف الطبيب المعالج الذي له أكبر الأثر لا في تولى العلاج فقط، بل في الوقاية من الأمراض. ولذا فهو والطبيب الوقائي صنوان لا يفتقران عمل كل منهما متم لعمل الآخر .

يقولون إن الوقاية خير من العلاج ، كما يقولون خير للانسان أن يعالج صحته عن أن يعالج مرضه . هذا قول حسن ويجب أن يفهم على حقيقته والمقصود منه أن يتخذ الانسان لنفسه الحيلة النامة لكي لا يصاب بالمرض ، ووظيفة الطبيب الوقائي منع الأمراض عن الجماعات والشعوب والطبيب المعالج يمنعها عن الأفراد والعائلات ، وإذا ما ظهر المرض فعلا أصبح من أهم طرق الوقاية علاج المريض ، خصوصا من الأمراض المعدية ، لأننا بمعالجة تخصص من أهم سبب من أسباب انتشار الأمراض ، لأن المريض هو منبع العدوى بما يخرج منه من افرازه ودمه وغير ذلك إما مباشرة أو بواسطة الملابس والأغذية الملوثة أو الذباب أو الناموس أو ما تحمله الأتربة أو غير ذلك ، وكل هذا بدهى ولا يحتاج إلى بيان .

وان ما يسديه الطبيب المعالج من النصائح لأهل المريض وما يتخذ من الاحتياطات . كفيل يمنع تسرب المرض إلى أفراد العائلة وإلى الآخرين ولا تخفى أهمية المعامل في تشخيص هذه الأمراض والمساعدة على الوقاية منها وعلاجها . كل هذا يدل بوضوح على أن العلاج والتطبيب أصبح طبيبا تعاونيا يشترك فيه كثير من رجال المهنة إما بصفة مباشرة أو غير مباشرة .

أعود الآن الى كثرة الاختصاص في شعب الطب وكيف يجب أن ينتظم العلاج معها . وإلى أين يتجه المريض لعلاج نفسه فهل يذهب اليهم جميعا وقد لا يقدر على ذلك وإن قدر فحما سيضطرب فيما بينهم وللتخلص من هذا المأزق طريقتان :

الأول ما ذكرته من تشجيع فئات الأطباء الممارسين قل أطباء العائلة والارتياح لهم كما يفعل الانجليز مع أطباءهم الصميين ، هؤلاء يجب أن يعطيتهم الجمهور ثقته فيكونوا مستشارى العائلات فيوجهونهم الوجهة الصحيحة لتشخيص أمراضهم وعلاجها وقد ذكرت عن ذلك ما فيه الكفاية .

والطريق الثانى هو إيجاد معهد من فرقة من الأطباء تضم بين أعضائها عضوا من كل اختصاص من الاختصاصات الشخصية والعلاجية يقمده المريض مباشرة فيفحصه كل

في فرعه ويضع له التشخيص حسبما يقرر بمختلف الأبحاث، ثم ترسم له خطة العلاج تفصيلا وله أن يعالج بالمعهد أو عند طبيبه الخاص .

. وأمثال هذه المعاهد موجودة فعلا في أوروبا وأمريكا وتؤدي أجل الخدمات للمرضى على اختلاف طبقاتهم وأشهرها عيادة مايو وغيرها في أمريكا وقد أخذت شهرة عالمية بحسن نظامها وتكامل استعدادها في كل فرع وشعبة من فروع الطب ولحقاته ولم تقتصر خدماتها على المرضى فحسب، بل خدمت علم الطب بما أوجدته من طرق بحث حديثة ومن أبحاث واكتشافات طبية قيمة .

ويمكن إيجاد معاهد عندنا على هذا الغرار بحيث توافق حالة المرضى المالية على اختلافها. وجدت في بعض البلدان جمعيات تعاونية طبية يشترك فيها من يريد ليدفع اشتراكا بمقدار معلوم وباشتراطات خاصة، لتعالجه الهيئة الطبية بهذه الجمعيات إذا ما مرض بأجور منخفضة، وجرت العادة أن تتكون هذه الهيئات الطبية من أطباء أخصائيين في فروع الطب وشعبه المختلفة ومنها المهامل ومعاهد التشخيص بالأشعة والعلاج بالوسائل الطبيعية، وهذه فكرة حسنة جدا جدا لو وجدت بمصر لتسهيل علاج الطبقة المتوسطة من المرضى .

فكروا قليلا في حالة أسرة لا يزيد دخلها الشهري عن عشرين جنيها ماذا يكون حالها إذا ما مرض أحد أفرادها واحتاج لعمل تعاليل مختلفة وكشف أشعة أو لمرضة للعناية به أثناء مرضه . وكلنا يعلم علم اليقين أن مثل هذه الأسرة لا يمكنها أن تدخر شيئا لمثل هذه الطوارئ خصوصا في الظروف الحاضرة .

وقد تقوم جمعية من جمعيات البر ورجل من المحسنين بعمل مثل هذا للطبقة المتوسطة لتخفيف العبء المالي عنهم بعض التخفيف، فتدفع إيجار المكان أو تنشي مكانا لذلك، وتقوم بتأمينه وتزويده بالأدوات والأجهزة والآلات الضرورية وتشمل مصاريف الماء وغيرها ويدفع المريض شيئا ما نظير الفائدة التي يقوم بها هذا المعهد له، لأن الطبقة المتوسطة في حالتهم المالية هم المتألمون من مصاريف العلاج، لأن كرامتهم لا تسمح لهم بالذهاب إلى المستشفيات المحامية الخاصة بالفقراء، وضيق ذات يدهم لا يسمح لهم بالعلاج عند الإخصائيين، فهم في احتياج زائد لمثل هذه المعاهد النصف خيرية أو التعاونية .

على هذا الأسا ح قدمت تقريري من عشرات السنين إلى جمعية الهلال الأحمر وأخذ الفكرة رجل من كبار رجال البر وشيد مستشفى لهذه الطبقة المتوسطة أقصد المرحوم طيب الذكر سمعان بك صيدناوى . والآن يشغل هذا المستشفى ويؤدي أجل الخدمات للإنسانية .

ومعاصركم هذه الليلة هو الجندى المجهول في هذا العمل الإنساني العظيم .

سليمان عزمي